بناء البيت التقليدي النجدي

متطلبات البناء

يتحدث هـذا الجزء عن بناء البـيت التقليدي في نجد، أي في مناطق الرياض والقـصيم وحائـل. كما يتـناول أيضـاً جوانب أساسية ومهمة في عملية البنـاء ومتـطلـباته كـاختيـار موقـع البيـت، وتصميمه، وأقسامه، ومكونات مسكن الأسـرة، ومـواد الـبـنـاء، والأدوات المستخدمة فيه، وكذلك ذكر مهام فريق البناء، والخطوات العملية المتبعة منذ بدء البنّاء أو المعلم أو المقاول في التنفيذ حتى تسلـيم المفتاح، ثم إقـامة وليمة كبـيرة احتفالاً بهذه المناسبة التي تعد من أسعد المناسبات، وغير ذلك ممـا له صلة ببناء البيت التقليدي وزخرفته، وخصائصه.

وتجـدر الإشـارة إلى أن الـبـيـت التقليدي ومـعظم الأبنية التقليـدية في المنطـقة الوسطى كـالأسوار والقصور والمساجد، تتشابه مع مثيلاتها من الأبنية التقليدية في الشمال، والشمال الشرقي، والشمال الـغربي من المملكة (مـناطق الحدود الشمالية والجوف وتبوك) على الرغم مـن وجود بعض الاخـتلافات الطفيفة التي قد تفرضها عادات السكان وتقاليـدهم وخصوصيتهـم من جهة، وبعض العوامل الجغرافية كالتضـاريس والتربة والمـناخ من جهة أخرى، هـذا سوى الاخـتلاف في بعـض الأسماء المتعلقة بمـهنة البناء وأدواتها، مع أنهـا معروفة وشائعة الاستعمال والمدلول في أغلب مناطق المملكة وفي الأقطار العربية بوجه عام. فالبيت، والدار، والمنزل، والمسكن هي جميعاً بمعنى واحد، وكل منها يعني المبنى الثابت، الكبير أو الصغير من ناحـية المساحة أو عـدد الغرف أو المنافع والمرافق، سواء أكانت تسكنه أسرة واحدة صغيرة أم كبيرة. والبيت التقليدي في القرى والأرياف مكون من دور واحد

غالباً، وفي المدن من دورين أو ثلاثة، ويبنى من الطين واللبن والجص إضافة إلى الحجارة المستخدمة في بناء الأساسات (السيسان). ومن أهم الملامح الأساسية التي تميز تصميم البيت التقليدي في نجد مراعاة فصل أمكنة الرجال عن الأمكنة الخاصة بالنساء وبقية أفراد الأسرة.

وكان الإنسان -فيما مضى- إذا أراد بناء بيت ليسكن فيه هو وأسرته، يبحث عن قطعة أرض مناسبة ليشتريها ويبني عليها بيته إن لم تكن له أرض لهذه الغاية. وكان يحرص على أمور مهمة في عرف الناس في ذلك الوقت، قبل اختيار الأرض والبناء عليها، لتتحقق له ولأسرته الراحة والحياة الوادعة في حاضره ومستقبله، ومن هذه الأمور مثلاً: السؤال عن الجار أو (القصير) الذي سيجاوره ويتعامل معه، وفي هذا اتباع للأثر أو المثل القائل «الجار قبل الدار». فإذا اطمأن إلى الجار المعروف بالسمعة الحسنة والأخلاق الكريمة والمعاملة الطيبة، ورضي بموقع البيت من حيث قربه من المسجد والسوق والشوارع الرئيسية في المدينة أو القرية فإنه لا يتردد في شراء أرض البيت، إضافة إلى أنه يفضل أن يكون البيت في مكان مرتفع طلق الهواء، وأن تدخله الشمس صباحاً ومساء، ولا يتعرض للسيول، ولا تزحمه الأبنية أو تحجبه الأسوار العالية أو الجبال والتلال عن بقية البيوت المجاورة.

وتعتمد سعة الأرض وسعة البيت على الإمكانات المادية لصاحب البيت. فإذا كان صاحب البيت موسراً والأرض التي يملكها واسعة فإنه يفضل أن يكون البيت واسعاً، تحقيقاً لما ورد في الأثر من أن سعة البيت من سعة الرزق. كما يفضل أن يكون للبيت أفنية وردهات وأحوية إلى جانب حوش كبير يمكنه من حفر بئر صغيرة وزراعة بعض الخضراوات وغرس عدد من الأشجار المثمرة وخاصة (عمتنا النخلة). ولا شك أن ضيق البيت أو اتساعه مرهون بمساحة الأرض المختارة للبناء، فمن الناس من يبني بيته على أرض لا تزيد مساحتها عن ١٠٠م٢، لكن بعض الموسرين قد يبنون على مساحات مبالغ فيها كثيراً قد تزيد عن ٥٠٠ م٢ أو ١٠٠٠م٢ وربما أكثر من ذلك، علماً بأن المتر كوحدة قياس لم يكن مستخدماً في ذلك الوقت، بل كان القياس بالذراع. جاء في اللسان «الذراع ما بين طرف المرفق إلى طرف الأصبع الوسطى» وعلى ذلك فالمتر يساوي ٥/٢ ذراع في المتوسط تقريباً.

تخطيط (تصميم) البيت

نظراً لأن البناء مهنة صعبة تتطلب الخبرة والدقة والمهارة، لم يكن يمارسها إلا عدد قليل ومحدود من الناس، لهذا كان على من يريد أن يبني بيتاً أن يختار أحد البنَّائين المشهود لهم بالشهرة والمعرفة والإتقان في هذا المجال، فيذهب إليه ويحدثه عن رغبته في بناء بيت له، محدداً مواصفات البيت الذي يريده بالتفصيل. فإذا وافق البنّاء على القيام بالتنفيذ ذهبا معاً لمعاينة الأرض على الطبيعة.

وبعد المعاينة وتحديد موقع البيت والبحث والتشاور حول الأمور الرئيسية والتفاصيل، يقوم البنّاء بالإجراء الأولي، وهو وضع أو رسم خطوط على سطح الأرض بقدمه أو بواسطة عود أو عصا، إن كان البيت صغيراً، أما إذا كان كبيراً فإنه يستخدم عسيب نخل مقطوع طوله خمسة أذرع لتحديد أقسام البيت وأطوال ومساحات هذه الأقسام، كالمجلس (القهوة) وغرف النوم والمنافع ثم الحوش والفناء وهكذا، حسب رغبة مالك البيت، مع رسم الخطوط التي سيتم وضع بودرة الجص فوقها حتى لا يكون هناك ميلان أثناء الحفر، كما يتم تحديد الزوايا والأركان والسور الخارجي. وجدير بالذكر أن معظم أهل نجد يفضلون أن تطل واجهة البيت على الشارع، وأن تكون الأبواب والنوافذ مفتوحة إلى جهة الشمال حيث يهب منها الهواء البارد، أو تكون مفتوحة على جهة الشرق لاستقبال الشمس وريح الصبا اللطيفة المنعشة المحببة لأهل نجد.

ولم يكن التخطيط أو التصميم الهندسي المرسوم على الورق معروفاً في الماضي، إذ كان البنّاء هو الذي يقوم بمهام المهندس المعروفة هذه الأيام، وهو أيضاً المستشار في كل أمر من أمور البناء، ويستطيع بالخبرة والمران والاعتياد أن يختزن في ذهنه كل المواصفات المطلوبة لبناء البيت، ونادراً ما يسجل هذه المواصفات أو المقاسات أو يطلب من أحد تسجيلها له خوف النسيان. ويتحمل البنَّاء عادة أي خطأ عفوي في البناء ويقوم بتعديله فوراً من تلقاء نفسه، فالبنّاء المشهور يحرص على إتقان عمله وأدائه على ما يرام لتظل له صفة المعلم أو (الستاد) الكبير.

ومن ناحية أخرى، لم تكن تُكتب في الماضي اتفاقات أو عقود بناء ذات بنود وشروط بين البنّاء وصاحب الأرض، بل كانت الاتفاقات بينهما تتم شفوياً بحضور بعض كبار السن عادة، ويتم تنفيذ هذه الاتفاقات بدقة، بناءً على الثقة

المتبادلة بين الطرفين، وإذا جرى كتابة مثل هذه العقود والاتفاقات فذلك أمر نادر، وخاصة في القرى.

ولا شك أنه قد يوجد بعض التفاوت بين بنّاء وآخر من ناحية القوة المادية، فقد يتخذ البنّاء صفة المتعهد أو المقاول، ويتكفل نظير مبلغ متفق عليه بتأمين كل ما يحتاج إليه البيت من عمال ومواد كالحجارة والطين والخشب والجص وغير ذلك حتى إتمام البناء وتسليم المفتاح، وهذه العملية لا يستطيع القيام بها إلا (استاد) مشهور وقوي ولديه فريق عمل خاص به. وقد يقوم صاحب البيت بتأمين كل ما يلزم لبناء البيت، كما يقدم صاحب البيت والجيران المتعاونون معه وجبات الطعام للعمال طوال فترة العمل في البناء. وفي هذه الحالة يتقاضى الستاد ومعاونوه من صاحب البيت مبالغ مادية مقابل عملهم وأتعابهم إما يومياً أو أسبوعياً أو شهرياً، إضافة إلى الهدايا أو الإكراميات التي يحصلون عليها عند الانتهاء من بناء البيت.

أقسام البيت الكبير. لا يوجد أنموذج واحد ومحدد يمكن أن يقلده جميع أهل نجد عند بناء بيوتهم التقليدية، لذلك يختلف تصميم كل بيت عن الآخر، لوجود عدد من العوامل تتحكم في شكل البيت، وأقسامه، وملحقاته، وسعته، وطريقة بنائه، وزخرفته، وغير ذلك مما يميز البيوت بعضها عن بعض، وفي طليعة هذه العوامل توافر الإمكانات المادية أو عدم توافرها، وكذلك نوع مهنة صاحب البيت، فإذا كان مزارعاً مثلاً فإن أدواته الزراعية ومواشيه تتطلب توافر السعة في البيت. والحقيقة أن الموسرين كانت لديهم دائماً الرغبة في بناء البيوت الكبيرة بحيث يكون للبيت سور، وحوش في أحد أركانه بئر صغيرة، ومساحة لغرس بعض الأشجار من أجل الظل والثمر وتلطيف الجو، إضافة إلى وفرة الغرف والملاحق، والعناية بالزخارف الخارجية والداخلية مما يدل على الأبهة والثراء. ويمكن تقسيم البيت التقليدي الكبير في المنطقة الوسطى إلى ثلاثة أقسام هي السور، والحوش وملحقاته، والمبنى الرئيسي أي طوابقه (أدواره) ومكوناته.

يبنى سور البيت التقليدي على حدود قطعة الأرض التي تضم مسكن الأسرة والمنافع والملحقات والحوش، وتحدد قطعة الأرض طول السور وعرضه، فالأرض المربعة سورها مربع والمستطيلة سورها مستطيل، وقد يتخذ السور شكلاً آخر حسب أطوال قطعة الأرض. والسبب

هو أن المدن والقرى القديمة لم يكن فيها بلديات تشرف على تنظيم المباني أو تهتم بالنواحي المظهرية الجمالية للبيوت والأسوار والشوارع.

ومن جهة أخرى، قد يكون البيت في وسط الأرض، وقد يكون في إحدى جهاتها أو على طرفها، بحيث تشكل واجهة البيت التي على الشارع غالباً الضلع الرابع للسور. ويختلف سور البيت التقليدي عن أسوار المدن أو القصور الكبيرة من حيث الارتفاع وسمك الجدران ووجود الأبراج، فسور البيت التقليدي يكون ارتفاعه في حدود ٣-٤م كما أن سُمكهُ حوالي ٣٠-٤٠سم، ونادراً ما تكون فيه أبراج، على عكس سور المدينة أو القلعة حيث يكون السور عالياً حوالي ٥-٦م وسميكاً في حدود متر أو متر ونصف، وغالباً ما يكون من جدارين متوازيين بينهما طبقة من الرمل لزيادة قوته ومقاومته للقذائف، ويسمى عَقدة، إضافة إلى اشتمال أسوار المدن والقلاع على مقصورات (غرف صغيرة) دائرية الشكل أو أبراج عالية (مراقب) عند الأركان أو على جانبي البوابة الرئيسية (الدروازة)، وهي كلمة فارسية الأصل. ويكون للبوابة خوخة (باب صغير) في وسط أحد مصراعيها تسمح لمرور شخص واحد فقط وتُغني عن عناء فتح مصراع البوابة بكامله.

وللبيت التقليدي في السور باب كبير، وباب آخر أو اثنان، وقد تكون البوابة كبيرة تتسع لدخول الجمال، وكذلك البابان الصغيران كلها موالية للشارع العام ومقابلة للمنزل، وربما تكون البوابة في جانب السور على الشارع العام أو في السور خلف المبنى حيث تفضي إلى الحوش الكبير. أما البابان الآخران فالأول هو الموالي للشارع العام وهو خاص بدخول الرجال وخروجهم، والآخر يكون قريباً من إحدى زوايا البناء، وذلك لدخول النساء والأطفال وخروجهم، وهذا من منطلق الخصوصية التي يراعيها معظم الناس في نجد.

والباحة أو البرحة التي تقع داخل سور البيت التقليدي تسمى الحوش أو القوع، وقد يكون هذا الحوش موالياً للشارع وقد يكون خلف البيت. ويضم الحوش الكبير عادة حجرة الأعلاف (الصِفَّة) وحجرة البقر والأغنام وحجرة الدجاج وحجرة الحطب، ولهذا الحوش باب كبير على الشارع لإدخال الأعلاف والحطب منه. أما الركن القريب من حد الأرض الموالي للشارع والذي يتخذ (مطينة) وقت البناء فتحفر فيه بئر صغيرة

أو حسو أو ركيّ، ويقسم أعلى البئر إلى فرغين أحدهما داخل سور البيت، والثاني خارج السور يستقي منه الجيران، ويعمل بجوار البئر قرو كبير من الحجارة المنحوتة لتشرب منه الأغنام والأبقار، كما يعمل قرو آخر يستعمل للوضوء، وقرو ثالث يكون مرتفعاً ويحاط ببناء ساتر ليستحم فيه من أراد، ويسمى مسبّحْ، وفضلات هذه المياه توجه إلى حفرة المطينة داخل البيت لسقي الأشجار والنخيلات الموجودة بها. وقد تكون البئر كلها أو الحسو داخل الدار لإمداد الأسرة بالماء، ويجلب منها الماء بالدلو بواسطة محالة صغيرة ورشاء، وأحياناً يكون ماء الحسو صالحاً للشرب لكونه ناتجاً عن تسرب مياه الأمطار إليه، وإلا فإن ماءه يستعمل في الاستحمام والغسيل. ومن الممكن أن يشترك سكان الحي في حفر وتشييد بئر في مكان مناسب يتوسط الحي، إذ يأخذ كل بيت من جهته الموالية للبئر ما يحتاج إليه من الماء. ويوجد في أحد أركان الحوش الكبير أيضاً المنحاز، وهو حجر على شكل دائري من أعلاه وداخله محفور ومجوف كالهاون أو النجر، وله يد من الخشب يدق فيه الدخن وغيره، ويقرب ارتفاعه من متر، كما توجد بالحوش المصخنة وهي من النحاس يوضع بها الماء وتوضع في الشمس ليسخن الماء الموجود بداخلها لأجل الوضوء وغيره. وقد يوجد في الحوش أو خارجه إلى جانب جدار البيت مصطبة أو دكة قليلة الارتفاع تسمى المشراق تجلس فيها النساء أو كبار السن من أهل البيت والجيران طلباً للدفء أيام الشتاء. كما قد يوجد داخل الحوش أو خارجه أيضاً ساحة مسيجة بالأخشاب أو الأشجار الصغيرة تسمى العنة (الحظيرة) توضع فيها بعض الحيوانات والحملان الصغيرة. ويحتوي الحوش في الداخل على حجيرات صغيرة طامنة للدواب. ولا شك أن الحوش الواسع يتيح للأطفال اللعب والحركة بدلاً من الخروج إلى الشارع أو اللعب داخل حجر البيت وردهاته.

أدوار (طوابق) البيت. المبنى السكني الخاص بالأسرة في المنطقة الوسطى يكون عادة من دور واحد (طابق واحد) أو من دورين (طابقين) فيسمى الدور الأول الدور الأرضي أو السفلي، كما يسمى الدور الثاني الدور العلوي، ولكن قد لا يكون فوق الدور الأرضي دور متكامل ثان يأخذ شكل الدور الأرضي وتصميمه، وإنما غرفة كبيرة واسعة تكون غالباً فوق المجلس الرئيسي الذي في

الدور الأرضي، مع حمام، وهذه الغرفة التي على السطح ،ولها شرفة تطل على الشارع، تسمى (العلّية) ويستعملها صاحب البيت وزوجته للراحة والنوم أحياناً خلال فصل الصيف الحار، وقد يستقبل بها بعض الضيوف والزوار من الأقرباء والجيران.

أما في منطقة حائل فالبيت التقليدي عادة من دورين، أو من ثلاثة أدوار في معظم الأحيان، وخصوصاً في مدينة حائل وما ماثلها مثل تبوك وهذا ناتج عن تأثر سكان تلك المناطق بسكان بلاد الشام في تعدد الأدوار وارتفاع المبنى؛ إذ يتباهى سكان المنطقة الشمالية بضخامة بيوتهم وشموخها.

وفي حالة كون البيت مؤلفاً من طابقين أو ثلاثة طوابق لا بد أن تكون الأساسات قوية ومتينة ومرتكزة على منطقة صخرية تتحمل ضغط هذه الأدوار أو الطوابق وثقلها؛ إذ يخشى إنْ بنيت هذه الطوابق على أرض رملية أو على أرض تركيبها الصخري غير صلب أن تغوص في الأرض أو (ترّيح) وتتصدع بعد مدة قصيرة من الزمن.

مكونات البيت. يتكون البيت التقليدي ذو الطابقين في المنطقة الوسطى – إذا كان صاحبه موسراً – من المجلس والغرف والمجبب والمطبخ وغيره من الملحقات:

المجلس (القهوة): يسمى في المنطقة الشمالية يسمى المضافة أو الديوانية. والمقصود بالمجلس هو مجلس الرجال الذي يتم فيه استقبال الضيوف ويسمى المجلس الصيفي، وهو حجرة واسعة مستطيلة الشكل طولها حوالي ٦–٨م وعرضها حوالي ٥–٦م، وتكون في الدور الأول الأرضي (السفلي)، قريبة من المدخل الرئيسي الموالي للشارع. ويتصل المجلس من خلال باب جانبي

القهوة بمكوناتها من الوجار والكمار والمقيعد

بغرفة مجاورة تسمى المقلّط. وقد يكون في البيت التقليدي مجلس آخر للنساء يستعمله أيضاً أفراد الأسرة، وخاصة في الشتاء، للجلوس والنوم، ويسمى المجلس الشتوي.

ونظراً لأن المجلس هو واجهة البيت فيتم الاعتناء بزخرفته وتأثيثه لأن ذلك يعطي الانطباع الحسن عن البيت وصاحبه. ويحيط بالمجلس الرئيسي الخاص بالرجال ليوانان وهما ساحتان (صالتان) بطول المجلس الذي يتوسطهما ويفيد هذان الليوانان (الإيوانان) أو الصالتان في استيعاب عدد كبير من الضيوف كاحتياطي للمجلس، خصوصاً في الولائم الكبيرة وحفلات الأعراس، إذ تمد الموائد في المجلس والليوانين. ويكون هذان الليوانان عادة بلا سقف لتهوية وإضاءة المجلس ذي المصاريع المطلّة عليهما.

ويتم في هذا المجلس (القهوه) استقبال الضيوف وإعداد الشاهي والقهوة أمام الضيوف زيادة في إكرامهم والاحتفاء بهم، فمن العادات والتقاليد المتبعة في الماضي، أن يقوم صاحب البيت (المضيف) أو أحد أبنائه أو أقاربه بعمل القهوة والشاهي أمام الضيف، إذ يجلس المضيف خلف الوجار (وهو موقد النار الذي يتم فيه إشعال الحطب أو الفحم)، وفي المجلس خلف الشخص معد الشاي والقهوة فتحة طولية نهايتها على شكل رأس مثلث في الجدار تسمى الطاق أو بيت الحطب تستخدم لتخزين الحطب والفحم، إذ يمد المضيف يده فيها، ويأخذ ما يشاء من الحطب عند اللزوم أو من التمر أو القريظ (القريض) أي اللبن الهش المجفف وكلاهما يسمى القدوع. وبجواره النقيرة وهي من الحجارة مربعة الشكل من الأعلى وفي وسطها حفرة صغيرة ولها يد من الحجر أيضاً تسمى المرود يدق فيها الهيل والقهوة. كما أن في المجلس ما يسمى بالكمار وهو جزء من أحد زوايا المجلس، أي بناء ملتصق بالزاوية اليمنى للمجلس مزخرف بالجص، وتوضع فيه المبخرة والدِّلال والأباريق الزائدة عن الاستعمال، كما يوضع في الجزء الأسفل منه مكان للرماد، وفي الجهة اليسرى من الكمار أدراج لها أبواب صغيرة يوضع بها الهيل والسكر والشاهي والبخور والزعفران ونحو ذلك.

وفي مجلس الرجال أيضاً المحكمة وهي أرفع مكان في المجلس يجاور الكمار والوجار من الجهة اليمنى، وله مسند مبني من الجص أو الحجر المكسو بالجص، ويجلس فيه عادة كبار السن أو

الضيوف أو من لهم مكـانة خاصة عند صاحب البيت.

وفي سـقف المجلس فـوق الوجار فتحة لها غطاء متحرك محكم تستخدم للتهوية عند امتلاء المجلس بالدخان فتفتح بواسطة حبل طويل، تحمي الجالسين من المطر، وتسمى السـماوة (النبْر والفتاش والكشاف) أيضاً، إذ المعروف أن سقف المجلس يكون أعلى من سقوف الغرف العادية الأخرى في البيت التقليدي.

وفي جدران القهوة وعلى ارتفاع أكثر من متر فتحات مغلقة من الخلف تسمى فواغر مفردها فاغرة، توضع فيها (المهاف) مفردها مهـفة، وهي المروحة المصنوعة من الخوص، ولها يد من الجريد.

ويكون بـجوار الجالس في المقـيعد مَرْكى من الخشب (مسلـة) وهذه المسلة تفتح وتغلق بالسحب ليوضع فيها العبس وهو نوى التمر.

ثم يـحضر المـالك قماشـاً قوياً بـه الرسومـات والأشكال والألوان وتعـلق على جـدران المجلس السـفلية وتـثبت بمسامير في أعلاها وتسمى الطـرّة. وقد تطورت الطرّة وأصبحت مساند (واحدتها) مسندة وهي أكياس من القماش يحـشى بالتـبن أو الطرف وتصـف على أسفـل الجدران ويستنـد إليها الجالس. وتعمل المراكي من ألواح الخشب مستطيلة الشكل بطول ٦٠سـم وعرض ٣٥سم وارتفاع ٣٥سم تقريباً، وتكسى بقماش، والبعض يضع عليها مخدات للاتكاء عـليها. ثم يتم فرش الأرض بالحصر التي تعمل من الخوص، أو المدات الـتي يؤتى بها مـن الأحساء وتوضع فوقها قطع من السجاد، هذا إذا كان صاحب البيت مقتدراً، أما غيره فيكتفي بالحصر والمدات.

غرف البيت: يشتمل البيت التقليدي في المنطقة الوسطى على عدد من الغرف، (حوالي ٥-٧) وربما أقل أو أكثر. وتفتح هذه الغرف على المجبب أو الممر المسقوف الذي تكون على جانب منه بعض الأعمدة أو السـواري، ويحيط المجـبب المواجه لأبواب الغرف بساحة غير مسقوفة مربعة أو مستطيلة الشكل غالباً تسمى الفناء أو الساحة أو الحوي. والغرف بهذا التنظيم تحقق الخصوصية المطلوبة للأسرة، وللنساء بشكل خاص. وتكون أطوال الساحة أو الحوي ما بـين ٨م عرضاً و١٢م طولاً. وقد تـكون الأطوال هـذه أقل أو أكثـر حسب توافر السعة في أرض البناء.

وتستعمل بعـض هذه الغرف للنوم - إذا لم يكن في البيت دور علوي تتوافر فيه غرف خاصة للنوم، ومن هذه الغرف ما هو للأولاد، ومنها ما هو للبنات وفقا

الحوي وحوله المجبب في أحد منازل عنيزة

لتوجيهات ديننا الإسلامي الحنيف الذي أمر بالتفريق في المضاجع بين الذكور والإناث. وغرفة لحفظ الأدوات الخاصة بمهنة رب الأسرة، وأخرى لخزن الحبوب، وغرفة كبيرة مقاسها ٤×٤م لخزن العلف لأكثر من سنة تسمى الصُفَّة أو (صِفَّة العلف)، ويكون بأحد أركان الصفة حجيرة غير مسقوفة يقارب ارتفاعها قامة الإنسان، ولها باب صغير في أعلى الواجهة الأمامية، وتسمى (الجِصَّة) وتستعمل لتخزين التمر (سقمة العام)، ولها فتحتان بأسفلها، في كل فتحة أنبوب من الخشب يسمى المكحلة (جمعها مكاحل) ويسيل من هذين الأنبوبين الدبس (وهو سائل يشبه العسل) من جراء تراكم التمر الرْطب المضغوط بحجارة أو أجسام ثقيلة. وقد يكون للجصة فتحة واحدة في أسفلها متصلة بمثعب من خشب الأثل يمر فيه الدبس. ويتجمع هذا الدبس ببطء في ما يشبه الحفرة (القاعة)، وقد يعاد الدبس عدة مرات إلى الجصة حتى يغلظ قوامه، ثم يرص التمر بالحجارة ليلتصق بعضه ببعض فلا يصل إليه السوس.

المجبب: يحيط المجبب ببطن الحوي أو الصالة أو الساحة أو الفناء، وغالباً ما يكون به عدد من السواري، وتفتح عليه أبواب الغرف والمطبخ، ومن المجبب يكون العبور والصعود إلى السطح بواسطة الدرج، وهو لا يُفرش كاملاً وإنما يفرش

المجبب الذي تفتح عليه أبواب الغرف

جزء منه بالحصر (مكان الجلوس فقط) وتختار ربة البيت أحد الأركان وغالباً يكون في الجنوب الغربي من المجبب، مصلى لها، تفرشه بحصير وتكون مساحته نحو ١,٥م×١م تقريباً وتحيطه ببناء صغير. كما تقوم بتثبيت منظرة (مرآة) في إحدى السواري على ارتفاع القامة وتكون محاطة بإطار من الجص وتجعل فوقها رفاً صغيراً من الجص تضع فوقه المكحلة وكذلك لوازم الزينة وتستعمل المرآة عند وضع الكحل وعمل الزينة وتسوية الشعر.

كما يعمل رف من الخشب بطول ١,٥م وبعرض ٣٠سم تقريباً توضع فوقه أواني الشرب والحلب بعد غسلها ويكون على ارتفاع لا يقل عن ١,٥م تقريباً. ويكون هناك حبل مربوط بإحدى خشبات السقف في منتصف الصالة يتدلى وبطرفه محجان وهو معلاق من الخشب يشبه رقم (٧) إلا أن أحد طرفيه أطول من الثاني فيحزز الطرف الطويل ويربط به الحبل وتعلق به القربة ليبرد ماؤها.

ويوضع بين الساريتين داخل المجبب خشبة أو حبل تربط أطرافها مع السارية التي تليها وتوضع فوقها العبي والملابس ويسمى مسطاح.

وهناك القفص في أحد جوانب المجبب وهو يعمل من عسبان النخيل حيث يربط بعضها إلى بعض، وهو

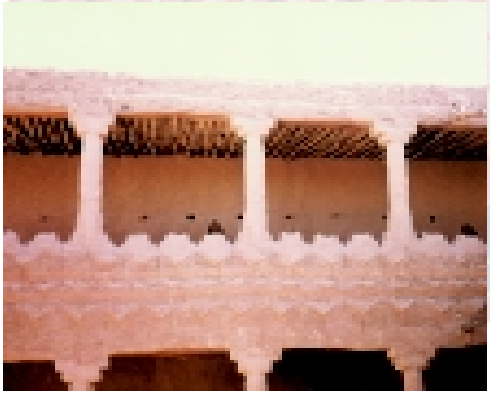

المجبب في الدور الأول يبنى فوق المجبب في الدور الأرضي

هرمي الشكل أسفله واسع وأعلاه ضيق يوضع تحته اللَّبَن أو بقية الأكل الصالح للتناول مرة أخرى.

ولا بد للدَرَج من سقف يسمى سطح الدَرَج أما بيت الدرج فيكون عادة للرّحى التي تطحن بواسطتها الحبوب بأنواعها، وهناك حبل يتدلى من إحدى غِمِي سقف الدرج يربط فيه صندوق من الخشب أو الخوص ويوضع فيه اللَّبَن أو اللحمّ أو بقية الأكل لحفظه من القطط ويسمى عِرْزالة.

الموقد (المطبخ): يُختار أحد الأركان وتحفر به حفرة ويوضع بها التنور وهو يُعمل خارج البيت من الطين (الغرين) بشكل أسطواني فيوضع في الحفرة وتدفن جوانبه الخارجية. وعند الحاجة يوضع بداخله الحطب ويوقد فيه فإذا جمَّر الحطب خبزوا فيه، وتبنى في أكثر من مكان مناصب وهي ثلاثة أحجار (الأثافي) وتوضع على هيئة مثلث ويوضع فوقها القدر وتوقد تحتها النار. ومكان آخر للمقرصة وهي من الحديد الصاج، دائرية الشكل تشبه القبة، وتسمى الطاوة أو التاوَة توضع تحتها النار ويتم وضع أقراص البر فوقها لتنضج، وفي أحد الأركان مكان للحطب، وهناك رف توضع فوقه القدور والمواقع (جمع ميقعة) وهي من الخشب المنحوت، وكذلك توضع فوقه السكاكين والصحون والملاعق والمغرفة والمعصاد. والمعصاد عصا غليظة يحرك بها العصيد والجريش وغيره، وتكون في سطح المطبخ فتحة يخرج منها الدخان تسمى النبر، وفتحات نافذة في الجدار تسمى الفُرَج (مفردها فُرجه) وهي أصغر من الدريشة وليس لها أبواب.

خطوات البناء

البناؤون و طرق البناء. عرفت مدينة الرياض كثيراً من البنائين وعرف البنَّاء باسم ستاد (أستاذ)، وكان هناك تخصص للأستاد (الستاد)، فهناك ستاد بناء طين، وستاد حجر، وستاد جص ونقش، وهناك حرفيون منهم الطيان الذي يخلط الطين، ومنهم من ينقل الطين ومن يقطع الطين والرماد، والمناولون والمزوري الذي يساعد المناول.

ومن أشهر البنائين الذين عرفتهم مدينة الرياض، (الاستاد) صالح القصيمي الذي تولى بناء قصر أبناء سعد بن عبد الرحمن الفيصل في الصفاة، وكان الملك عبد العزيز قد استدعى البنائين ذوي السمعة الطيبة من داخل الرياض ومن خارجها لبناء القصور

الملكية، منهم ناصر بن عبدالله بن يعيش من الدوادمي، وكان عمل أول الأمر حرفياً مع صالح القصيمي، ثم بنى عدداً من القصور الملكية، مثل قصر الملك عبد العزيز في المربع، ثم قصر الملك خالد بن عبد العزيز في الفوطة وقصر الملك فهد غرب دروازة السويلم (الوشمي ١٤٠٦ : ٢٢). ومن الأسماء الأخرى الشهيرة في عالم البناء بمدينة الرياض، عبد الرحمن بن ناصر بن عبيدان، وحاتم الحاتم، وابنه عثمان وعبد الرحمن بن محمد بن سميح، وعبدالله بن جابر وعبدالله الدريبي.

أما أساتذة الجص فمن أشهرهم عبد العزيز بن حمدان، وأخوه عبدالله بن حمدان، ومحمد بن حماد. وينتقي (الاستاد) أحياناً أحد مساعديه ويتوسم فيه الكفاية فيتعهده بالتدريب ثم يعهد إليه ببناء قواطع البناء الداخلية، ومثل هؤلاء الذين يمرون بمرحلة انتقالية حتى يستحقوا لقب استاد يطلق على الواحد منهم مويزري، ويطلق على الحرفيين الذين يستعين بهم الأستاد في عملية البناء الشواغيل (جمع شاغول) ويختلف عدد هؤلاء وفقاً لمساحة البيت، وعلى سبيل المثال، استعين بنحو ٣٥ عاملاً في بناء بيت آل سويلم ومساحته ٣٠٠٠ ذراع، مكون من طابقين واستمرت عملية بنائه خمسين يوماً (الوشمي ١٤٠٦ : ٣٦).

ولكل استاد فريق عماله الذين يعتمد عليهم ويتخيرهم فهم خاصون به ويطلق على هؤلاء الملازمين دائماً خويا الأستاد، وتكون أجورهم عالية لمهارتهم وخبرتهم، وهناك عمال آخرون يستعان بهم من وقت لآخر ولا يختصون بأستاد معين، وهؤلاء عمال عاديون أجرتهم أقل من السابقين، لكن إذا ظهرت براعة أحدهم أو مهارته سارع الأستاد بضمه إلى فريق عمله.

تجهيز الأرض. يحرص الستاد، قبل إعطاء الأمر لعماله بحفر الساس أي أساس البيت، على تمهيد وتسوية أرض البناء لتسهيل حركة العمال عليها، وذلك بإزالة الصخور والحجارة عن السطح إن وجدت ودفن الحفر الكبيرة التي تعيق العمل، كما يقوم الستاد بوضع ساتر أو سياج من الألواح الخشبية (الأبلكاش) أو من الألواح الحديدية (الشينكو) التي عرفت مؤخراً، حول قطعة أرض البناء، أو على طرف الأرض الموالي للشارع أو الشوارع التي تحد أرض البناء، وذلك لحجب العمال عن المارة ولمنع الحيوانات من دخول أرض البناء خشية سقوطها في الساس بعد حفره أو في أحواض الماء. أو خشية

إعاقة العمـال عن عملهم أو تخريب جدران الـبنـاء بعـد إنشـائها، عـند الاحتكاك بها. ثم يحدد الستاد أماكن خاصة في أركان الأرض منها ما يكون لأحواض الماء، ومنها ما يكون لوضع الحجارة، أو الرمل، أو الجص أو اللبن أو أدوات البناء، ليكون كل ما يحتاج إليه العمال في متناول أيديهم. وغالباً ما يخـصص باب خلفـي في السياج لدخول العمـال وخروجهم، وكذلك لدخول الحيوانات التي تجلب عليها مواد البناء، وخروجها بعد تفريغ أحمالها، ويسد هذا الباب بحزمة من الخشب أو الحطب يمكـن تحريكها بسهولـة. وقد تعمل في أحد الأركان البعيدة من قطعة الأرض (عريشة) مظللة تقي العمال من أشعة الشمس وقت الراحة وأثناء تناولهم طعام الفطور أو الغداء، خصوصاً عند عدم وجـود أشجار أثل أو نـخل في قطعة الأرض يمكن اللجوء إلى ظلالها.

حفـر وبناء الأساسـات. بعد وضع تصميم أو مخطط البناء وتحديد المقاسات الخاصة لمجلس الرجال ومجلس النساء والغرف والمـنافع والملاحـق وغير ذلك مسبقاً يبدأ العمال بحفر أساسات البيت بالفواريع والفؤوس والعتلات والمساحي وغير ذلك من الأدوات اللازمة للحفر.

تحفر أولاً أساسات الـبيت عند الأركان على عمـق بضعة أذرع (حوالي ١,٥ م إلى٢ م) للوصول إلى الطبقة الصخريـة أو الأرض الصـلبـة (العـزا) ثم تحـفر الأساسات الخاصـة بالجدران والقواطع ويكون عمق الحفر في هذه المواقـع أقل من عمق الحفر لأساسات الأركان. وإذا كانت الأرض رملية أو ذات تراب هش ولم يتم الوصول إلى الطبقة الصخرية أو الصلبة (العزا)، فيجري ردم الأساسات المحفـورة وملئـها بالـصخور والـدبش

بناء الجدار باللبن

أحد الجدران المبنية باللبن مع أساس من الحجارة

والجمش ودكها مع صب الطين الطري ليتداخل ويتماسك مع هذه الصخور لتصبح شبيهة بصبات الأسمنت القوية التي تعمل في الوقت الحاضر، وذلك لتقوم مقام الطبقة الصخرية، ولتتحمل ثقل البناء الواقع عليها وضغطه. وبعد أن يرتفع الساس عن سطح الأرض بمقدار ساف (والساف هو طبقة الحجارة السفلية في الساس) أو مدماك، يبدأ البناء فوق الساف باللبن أو بالطين.

ويستعمل تراب الأساسات في عمل اللبن أو للتشبيع أي طلي الجدران بالطين المخلوط بالتبن والمخمر لعدة أيام ليزيد تماسك الجدران من الداخل والخارج.

بناء الجدران (اللوايح). بعد الانتهاء من بناء أساس (ساس) البيت المكون من الحجارة الكبيرة وحصى المذيل والدبش والجمرش (الحصى الصغير) ومن الجمش أي كِسَر الطين، ومن الطين الرخو المخمّر الذي يصب بين الصخور والحجارة لسد الفراغات، وبعد دك كل ذلك ليصبح الساس قوياً صلباً متماسكاً، يبدأ الستاد ببناء جدران البيت باللبن والطين والرقف (الحجارة الصغيرة)، ويتبع إحدى طريقتين: إما الاستمرار في رفع الساس مسافة ساف فوق سطح الأرض، ثم البناء لبنة لبنة فوق الساف، وإما البدء بالبناء من داخل خندق الأساس وذلك بوضع

لبنتين متقاربتين بجانب بعض حتى يرتفع الأساس عن سطح الأرض مقدار ذراعين ثم يبدأ البناء بلبنة واحدة حتى ينتهي، مع ملاحظة أن حجم اللبن يختلف في البيت من الدور الأرضي والعلوي والسطوح حيث تكون اللبنة كبيرة في الأساسات ثم تصغر حتى سترة السطح.

وحين يريد الستاد ومعاونوه البدء في البناء، يقوم الخلاط بخلط طين البناء في الليل، وبعد طلوع الشمس يبدأ العمل حيث تعتبر هذه الخلطة فرشة لِلّبن. ويحرص الستاد قبل أن يرتفع البناء عن سطح أرض البيت على تحديد مواضع أعتاب الأبواب، ومواضع النوافذ والرفوف والدرايش والكمار والأوتاد والفتحات غير النافذة في الجدران وغير ذلك حتى لا يضطر لهدم أي جزء من الجدران لاحقاً، كما يحرص أيضاً على تحديد مواقع الممرات والساحات والمنافذ والدرج لكي ترتفع الجدران الخارجية والداخلية معاً لبنة لبنة ومدماكاً مدماكاً مما يحقق القوة والتماسك للبناء كوحدة واحدة، وكلما ارتفع البناء اتضحت معالم البيت، مع ازدياد الجهد المبذول والصعوبة في عملية البناء.

ويحرص الستاد أثناء بناء مداميك الجدران على أن تقع كل لبنة يضعها على طرفي اللبنتين في المدماك السفلي الذي انتهى من بنائه، بحيث تكون هذه اللبنة أشبه برباط لهاتين اللبنتين، وبعد الانتهاء من الجدار يرى الناظر شكلاً هندسياً هو عبارة عن صفوف من اللبن (المداميك) بخط مستقيم وزاوية قائمة. ويستمر الستاد في البناء حتى إذا ارتفع الجدار (اللايح) مقدار قامة الرجل أو أعلى قليلاً بدأ في كمْرِ الجدران، والكمْر هو ضم الجدار إلى الداخل قليلاً بحيث يكون أسفل البناء أوسع من أعلاه، والحكمة في ذلك أنه إذا ضم الجدار إلى الداخل فإنه يستند إلى سقف المنزل ويشد بعضه بعضاً، أما إذا قام الجدار بزاوية قائمة حتى نهاية الجدار عند السقف فإن احتمال إنشطار الجدار إلى الخارج وارد، مما يتسبب في انهيار البناء كله، ويشاهد ذلك بوضوح في بعض المباني الطينية القديمة التي تقوست جدرانها إلى الخارج.

ومن المعروف أن الستاد لا يبني البيت غرفة غرفة وإنما يبنيه كلَّه وحدة واحدة، ولذلك يلاحظ أن ارتفاع جدار المجلس مثلاً في وقت ما من عملية البناء هو الارتفاع نفسه لبقية جدران الغرف الأخرى والمنافع، لأن الارتفاع بجدران البيت معاً يزيد في ترابط هذه الجدران.

ويظل الستاد خلال وقت العمل فوق الجدار، حيث يناوله المزوري المقابل له فوق المحمل أو السلم كل ما يطلبه منه بسرعة فائقة وبيقظة ومتابعة شديدتين، فعندما يقول الستاد: لبنة، يناوله المزوري لبنة، وعندما يقول: طينة، فإنه يناوله نقثة وهي ملء اليدين من الطين. وقد يكرر الستاد قائلاً: طينة، طينة مرتين، فإن المزوري يلاحظ ذلك ولا يعطي الستاد إلا ما يطلبه.

ويكون العمال (الحرفية) أو (خويا الستاد) وقت العمل دائماً على أهبة الاستعداد لتلبية ما يطلبه منهم حيث يختص كل واحد منهم بعمل، فالخلاط يخلط الطين، والشذاب يناول النقثة بعد قطعها إلى الذي يليه في الصف ومنه إلى المعدي ومنه إلى الزقّاف، ثم إلى اللقاف ثم إلى المزوري ثم إلى الستاد. وبموازاة هذه العملية هناك من العمال من يتولى إيصال ونقل اللبنة لتصل إلى الاستاد بالطريقة التي تصل بها نقثة الطين إليه، وتسمى هذه العملية الشمْر أي الرفع. وكلما أنجز الستاد وفريقه مدماكاً زاد حماسهم ونشاطهم وهم يرددون الأغاني والأهازيج والهنمات التي تحثهم على الاستمرار في العمل والتغلب على التعب ولتحقيق الانسجام في الأداء. والهنمة تقول:

«الاستاد: هنما يا هنما
العمال: هنما يا هنما
الاستاد: لبنه يا لبنه
العمال: هنما يا هنما
الاستاد: شيلوا يا شيلوا
العمال: هنما يا هنما»

وأثناء مرور الناس حولهم يقومون بالتعليق عليهم في شكلهم أو مشيتهم أو حركتهم ويدخلونها في الهنمة بدون أن يحس المار بذلك، وإذا سمعت النساء الغناء يصعدن إلى السطوح ليتفرجن عليهم وهم يغنون وذلك لحسن الصوت، علماً بأنهم قديماً ليس لديهم ما يتسلون به وتكون هذه فرصة للمشاهدة (الوشمي ١٤٠٦: ٣٣-٣٤).

ونظراً لأن الجدران تبنى من اللبن والطين الطري الرطب، فإن الستاد يتوقف عن البناء بعد كل مدماكين يبنيهما على مدار البناء، ويستمر هذا التوقف يومين أو ثلاثة حتى تجف الجدران، ثم يعود هو وعماله ويواصلون العمل وهكذا. فإذا ارتفع الجدار سمي لايحه أو لايح وجمعه (لوايح)، وتسمى أيضاً حيطان.

التسقيف (الطمام). بعد ارتفاع البناء إلى حد معين أي للسقف يتم التحنيك،

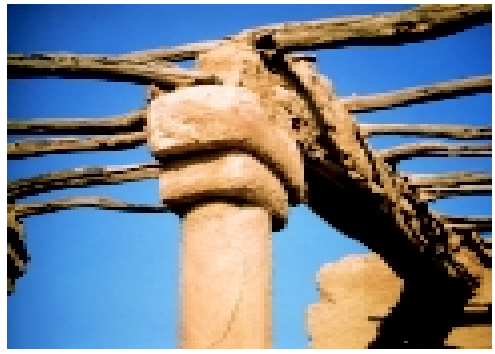

التحنيك وهو صف خشب السقف

وهو صف خشب السقف (الغمي) على الجدران، وتسمى الخشبة الواحدة من هذه الأخشاب غماة. وإذا كانت الحجرة كبيرة احتاج الأمر إلى التسقيف بالسواكيف (مفردها ساكف)، وتتخذ من خشب الأثل المتين والمستقيم، وهي أكبر من الغماة، يتم وضع اثنتين أو أكثر وسط سقف الحجرة ويسند أحد أطرافها على الجدار أو على مقدمةٍ (رُكبة) من الحجارة، كما يسند الطرف الثاني على الجهة المقابلة على مثل ذلك.

ثم تُربط السواكيف بحبل وتبنى فوقها طبقة واحدة من اللبن والطين، ثم يصف خشب السقف فوقها، وتسمى كل واحدة من الجهتين (مرمل). وتشبه السواكيف الجسر في الوقت الحاضر. وقبل عملية التحنيك يتم وضع سقوف الأبواب والدرايش (النوافذ) كما يتم وضع أعواد من الخشب تثبت بالجدران تسمى أوتاداً تعلق فيها البنادق والسيوف والملابس والمشالح وغيرها. وقد يكون في الحجرة سارية فتسند أطراف السواكيف فوقها.

التسقيف بالسواكيف مع استخدام فرج للإضاءة والتهوية

وبعد ذلك يتم صف الجريد فوق خشب الطمام، ثم يتم وضع خوص الجريد الأخضر فوق العسبان ليكون عازلاً ويتماسك الطين بعد وضعه عليه ولا يتساقط، ويكون سمك الطين فوق الخوص ٢٠سم بشكل متساوٍ وهو ما يسمى بالطمام. وقد يوضع بدلً العُسْبان (الجريد) فروش من الحجارة خوفاً من الأرضة التي تأكل الخشب.

وتكون في الدور الأول عادة بعض السواري أو الأعمدة، والسارية هي عمود من الحجارة ذات شكل أسطواني تقام

استخدام الجريد فوق خشب الطمام

أسطوانة فوقها تاج تدعم السقف المصنوع من الخشب والجريد

داخل الغرف وتتألف من عدة خرزات. والخرزة من الحجارة مستديرة الشكل قطرها ٤٥سم وارتفاعها ٢٠سم تقريباً. وتوضع الخرزات بعضها فوق بعض وتمسك بالجص، وفي أعلاها (مغطاة)، والمغطاة من الحجارة مستطيلة الشكل أبعادها ٦٠سم×٤٠سم وارتفاع ١٥سم تقريباً. وتوضع فوقها القناعة؛ وهي من الحجارة تشبه المغطاة ولكنها أطول منها وتوضع فوق المغطاة ثم توضع فوقها السواكيف، ويبنى عليها صفة من اللبن والطين ثم يتم الحناك فوقها.

وبعد الطمام يبدأ البناء في السترة إذا كان البناء من طابق واحد بارتفاع أربعة أذرع، أو الاستمرار في بناء دور آخر. وتعمل عادة بعد انتهاء عملية الطمام ميول للسيل بحيث يتجه إلى جهة معينة تسمى المثعب ويكون من الخشب مجوف

الوسط، ويثبت في الجدار بمستوى لسطح المنزل ومائلاً قليلاً جهة الأرض ينزل منه ماء المطر. كما تعمل فتحة في جدار السطح لها بروز من الخشب إلى الخارج على شكل مثلث وتطل على الشارع وتكون في واجهة المنزل وتسمى الطرمة أو القاتولة. ويعمل على مستوى سقف المنزل من الخارج حلية وتكون على هيئة مثلثات متساوية الساقين ويكون رأس المثلث إلى أسفل وضلعه في حدود ٢٠سم تقريباً، وهي بروزات من الطين والتبن على مدار البيت تسمى حدايد.

وبعد الانتهاء من البناء (العظم) يتم ملء الفراغات بين اللبن بالطين ويسمى التلطيس ويكون بدون تبن. ثم يغطَّى اللبن بطبقة من الطين والتبن ويشبه الطرطشة حيث يكون الجدار خشناً يبدو عليه أثر الأصابع وتسمى الصوبعة، وبعد جفافه تبدأ الشِّباعة وهي طلس الجدران بالطين المخمَّر بالماء عدة أيام، ويضاف إليه التبن، ثم يخبص خبصاً شديداً وبقوة ويكون طرياً وتستبعد منه الأحجار مهما كانت صغيرة وتطلس به الجدران من الداخل والخارج ويسمى المشاش أو (الشباعة). ويصبح الجدار ناعماً بعد هذه العملية.

بعد ذلك يتم ملط السطح بالطين والتبن الذي يخمَّر عدة أيام ثم يوزع على السطح ويمسح باليدين والطين طري حتى إذا يبس سمح بانحدار السيل عليه بسهولة فلا يتسرب الماء إلى الغرف وكذلك تُملط جميع الغرف ويُحضر الأولاد يطأونه (يطابلوا فوقه) لكي تصبح أرض السطح قوية وصلبة.

بعد تسقيف الدور الأرضي وملط سطحه بالطين، يبدأ الاستاد وعماله – بعد جفاف طين السطح – ببناء الدور الثاني بالكيفية التي تم بها بناء الدور الأرضي، مع مراعاة ركوب الجدران والأقواس والسواري والمصابيح في الدور الثاني تماماً فوق مثيلاتها في الدور الأرضي. ثم يتم تسقيف الدور الثاني وملط سطحه بالطين. وإذا كان البيت مكوناً من دورين فقط هما الدور الأرضي والدور الثاني، بني على جدران الدور الثاني جدار على ارتفاع ٣م وعملت في الأركان العلوية زرانيق بطريقة هندسية جميلة، وأصبح سطح الدور الثاني هو سطح البيت الذي يمكن استخدامه للنوم في فصل الصيف.

أما الدور الثاني فيشتمل على الغرف الخاصة بالنوم والسكن وخاصة للنساء، كما يشتمل على الرواشن، والمصابيح، وهي صالات الدور العلوي تكون بين الرواشن أو أن الرواشن تطل عليها، ولها

أبواب صغيرة للتهوية تسمى عادة المصاريع، ولها مدخل رئيسي مما يلي الدرج ومخرج يفضي إلى الدرج الصاعد إلى الطابق الثالث إن وُجد. وفي الدور الثاني أيضاً تكون الطوايا (جمع طاية) وهي سطوح البيت وتحاط عادة بجدار من مترين أو أكثر ومنها جزء مسقوف يسمى المفضوخ توضع به عادة الفرش التي تُستخدم للنوم.

وقد يبنى في الدور الثاني برج يسمى الموسع أي الحمام فوق برج الدور الأرضي.

التشطيبات النهائية. بعد الفراغ من عملية البناء يركَّب الباب الخارجي مع تركيب أبواب الحجر كلها على أن يراعى عند تركيب الباب الخارجي وضع كوة (فتحة عند الباب) تمكّن من يريد فتح الباب من إدخال يده. وعموماً كانت أساسات هذه الأبواب من جذوع النخل المقطوع من نخيل الرياض نفسها أو الدرعية أو القرى المجاورة، حيث إن الفلاح يقطع النخلة إذا زاد طولها وأصبح صعودها لخراف التمر خطراً، أو إذا قل ثمرها، وعلى العموم يجب أن تكون النخلة المقطوعة من النخيل القوية لا من النخيل ذات الجذوع الهشة، ويقوم النجار عادة بقطعها وحملها على الجمال إلى دكانه ثم يشذبها بواسطة المشرحة إلى قطع متساوية قد تصل إلى ست أو ثماني سقايف ويكون سُمك كل سقيفة ١٠ سم أما عرضها فلا يُعدل فيه شيء بل يبقى حسب عرض جذع النخلة، بعد ذلك يعمل النجار في السقايف خروقاً جانبية ويُدخل فيها جريد النخل لأجل تثبيت سقيفة بأخرى ليصنع باباً كاملاً. ويستعمل في تخريق السقايف المنقار، وهو من الحديد، ونصابه من الخشب، وطول هذا المنقار يصل إلى ذراع، ثم يحضر العوارض والأركان المصنوعة من خشب الأثل ويركبها في الباب، ومن ثم يضع له حجراً.

يبدأ الاستاد بعد ذلك بوضع فواغر، وهي فتحات في الجدار على شكل رفوف على مستوى القائم، وتوضع في المجلس خاصة وبعض حجر المنزل لتوضع بداخلها الكتب وبعض الأدوات أو السرج. كما يبنى في المجلس كمار لوضع أواني القهوة، وهو مزخرف ومنقوش بالجص، وتحت الكمار وفي أرضية الغرفة يبنى الوجار، وهو مكان إعداد القهوة العربية، مع وضع كشاف (فتحة في السقف) وذلك في غرفة الضيوف ليخرج منها الدخان مع التحكم في هذا الكشاف بأن يتدلى منه حبل إلى

فرج بالجدار الخارجي ذات تصميم بديع بالدرعية

مكان الجالس في محل القهوة يرفعه أو يقفله عند الحاجة، إذ يعتمد الحبل على بكرة في السطح، والحبل مربوط بالكشاف ويسير على البكرة ليرفع أو يقفل ويكون عند الجالس خشبة موضوعة في الجدار ليربط الحبل فيها.

بعد ذلك تبنى جصة أو رميلة في إحدى الحجر لطرح التمر فيها، وتسمى جصة إذا كانت كبيرة ورميلة إذا كانت صغيرة. والجصة حوض لكنز التمر مبنية بحجر الفروش وبشكل مربع ويوضع لها باب وعليها كسوة من قماش تسمى الأمريكاني لحماية التمر من خشاش الأرض (الفئران). وتطلس من الداخل بالجص ويوجد في أسفلها ثقب هو مخرج الدبس، وقد توضع ماسورة وتحفر أسفل منها حفرة صغيرة تسمى المدبسة بقدر دخول المغراف الكبير فيها لغرف الدبس المتسرب من التمر، وسبب خروج

الفرج الداخلية والخارجية في بيوت تقليدية

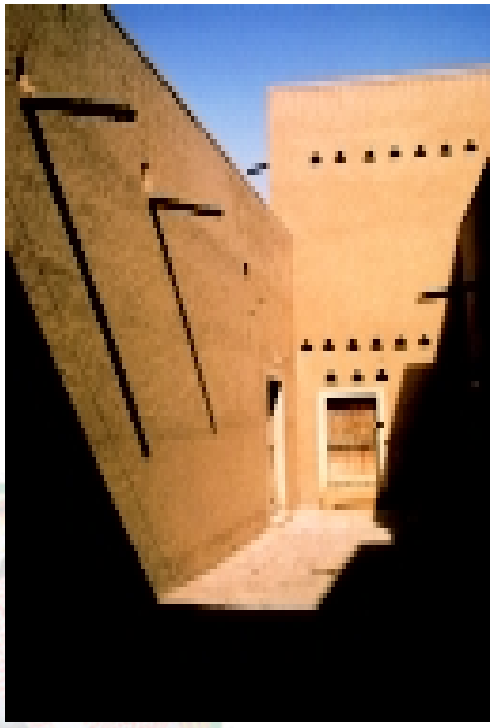

فرج داخلية بقصر المصمك بالرياض

هذا الدبس هو أن التمر موضوع فوقه حصير وفوق الحصير حجر ثقيل يضغط على التمر ومن ثم يخرج الدبس ولهذا صنعت تلك الفتحة. ثم يبنى في إحدى الحجرات سواء كانت في الدور الأرضي أو العلوي حيضان (أحواض) من حجر الفروش وذلك لوضع كل صنف من الحبوب في حوض مثل الصماء واللقيمي والحب والدخن والذرة الصفراء أو الشامية والبصل وغير ذلك. وقد تزين بعض المنازل بفرج على شكل مثلث صغير وتكون متقاربة لتعطي شكلاً جمالياً أو يكون بعضها فوق بعض بشكل هندسي جذاب.

ويقوم المقتدرون بعد انتهاء البناء في البيت بنقش الخشب سواء سقوف الحجر أو الأبواب والنوافذ وذلك بوضع أصباغ مصنعة محلياً. وهناك أشخاص مختصون في هذا النوع من النقش، وهم من النجارين، وعندهم حاسة فنية مثل عبدالعزيز بن مسيحل، ويعتبر الأول في هذه المهنة. وقد يجصص البيت كله بالجص أو بعض حجره كغرفة الضيوف أو حواف (جوانب) الأبواب والنوافذ، مع وضع نقوش جانبية بأشكال هندسية بواسطة السكين.

أما تصريف ماء البيت فبعد إتمام البناء يحفر في خارج المنزل أمام البيت بيارتان واحدة للمجاري وأخرى لفضلات الطعام، ويجعل لكل بيارة مجرى (ساقي) من داخل البيت حيث يكون هناك مجرى من المنافع كالصهروج ويسمى المغسل أيضاً، وهذا المجرى يبنى بحجر الفروش ويطلى بمادة تسمى الصهروج الأخضر، وهو طين مخلوط وموقد عليه بالنار حتى يقوى ومن ثم تليص (تليس) به السواقي (المجاري) لتمنع تسرب الماء إلى أرضية المنزل. وكذلك يفعل بالمجرى الثاني الذي يكون

متصلاً بالمطبخ أو بمكان لغسيل الأيدي بعد الأكل، وعادة تبنى في وسط البيت (بطن الحوي).

تطور البناء. لقد تلت ذلك مرحلة أخرى في البناء وذلك في الخمسينيات الهجرية. وأول مرحلة تطويرية هي في بناء الأساسات؛ إذ كانت تبنى قديماً بعد الحفر من اللِّبْن، وذلك بوضع لبنتين لبنتين حتى ترتفع عن الأرض بمقدار ذراعين ثم يبدأ البناء برصة واحدة من اللبن. بعد ذلك تطور الأمر إلى أن يكون بناء الأساس من الحجر، وسبب ذلك أن قاطعي الحجر بدأوا يقطعون أحجاراً خاصة لبناء أساس البيوت، إذ كانوا من قبل لا يقطعون إلا فروشاً لتسقيف (طم) البيارات أو لطيّ آبار المياه أو عمل خرز للأعمدة سواء للبيوت أو المساجد، وكذلك الكمرات وغير ذلك. ثم تطور الأمر إلى تجصيص البيت كله من الداخل والخارج واستبدال أبواب الجذوع بأبواب خشبية مستوردة. ثم بدأت تكبر مساحة الحجرات وتم إلغاء الفواغر الداخلية. وتلاشت المصابيح سواء ما كان منها في الدور الأرضي أو العلوي. ولم يبق إلا الندرة النادرة من الناس الذين يبنون مصابيح، وبهذا صغرت باحة البيت (بطن الحوي) بالإضافة إلى صغر مساحة المنزل كله. وأخيراً تلاشت الشرفات والحدايد والحقاف وصارت الجدران ملساء. وألغي الصهروج (مكان الغسل) وحل محله الحمام وهكذا إلى أن انتهى بناء الطين وحل محله البناء بالبُلك أي الطوب الإسمنتي مع الخشب المستورد وأبواب الحديد، وأخيراً دخل البناء المسلح وهو ما نحن عليه الآن.

الزخارف والنقوش

الزخرفة والنقش على الحجر والطين والخشب من الأعمال الفنية الإبداعية التي مارسها النقاشون منذ القدم لأغراض مختلفة غايتها ترجمة الأفكار والأحاسيس الذاتية إلى قيم جمالية. من خلال استخدامهم العناصر الزخرفية كالإطار والدائرة والوردة والنخلة والأشكال الهندسية الأخرى، إضافة إلى نقش بعض الأمثال والأشعار والآيات القرآنية على الجص وهو طري. وهذه الأعمال الزخرفية على عكس ما بالغ فيه أو اعتقده بعض علماء العمارة من أنها ترجع إلى معتقدات معينة تتعلق بالفأل الحسن أو ترمز إلى الخير أو غير ذلك من الخرافات التي تتنافى مع المعتقدات الإسلامية الصحيحة. يقول صالح العبودي في هذا المجال:

«وقد سألت أحد النقاشين في العمارة التقليدية في أشيقر وهو عبدالرحمن بن عمر بن عمير: هل لهم في هذه الدائرة معتقدات؟ وهل يمثل لهم شكل المحالة شيئاً يتعلق بهذا، كما يذكر البعض؟ فأجاب قائلاً: الدائرة وغيرها من النقوش لم تمثل لنا أو لأجدادنا النقاشين أي تعبير أو معتقد سوى تعبير جمالي فقط! وتكرار الدوائر يعطي شكلاً جمالياً، والنقش داخل الدائرة كذلك يعطي شكلاً جذاباً ومتناسقاً. وعن سؤالي له عن طريقة النقش كيف تتم؟ قال: عندما نطلي الجدار بالجبس نقوم بعمل النقوش عليه في الحال وهو رطب بواسطة آلة حادة. وعن المدة التي يقضيها في عملية الزخرفة بالجبس أجاب: تختلف حسب المطلوب فإذا كان المطلوب نقش نصف الجدار الأسفل فإن الواجهة تأخذ يوماً كاملاً. وإذا كان المطلوب كامل الجدار كما في بيوت الأغنياء فإن الواجهة تأخذ من الوقت يومين ونصف إلى ثلاثة أيام (١٤١٢: ١٥).

وإضافة إلى ما تؤديه الزخارف الخارجية والداخلية في البيت التقليدي من دور فني وجمالي يريح النظر ويبهج النفس ويعطي انطباعاً جيداً عن وضع صاحب البيت المادي والاجتماعي وعن ذائقته الفنية، فإن هذه الزخارف تؤدي منافع فعلية بل وضرورية أحياناً لأهل البيت.

الزخارف الخارجية. من عناصر الزخرفة الخارجية مثلاً الطرمة والمثلثات الغائرة والبارزة والشُّرف، ولكل نوع من أنواع هذه الزخارف وظيفة أو وظائف غير وظيفتها الجمالية؛ كالحماية من الأمطار وتوفير الخصوصية والأمان ونحو ذلك.

الطرمه (السقاطه): هي بروز من الجدار الخارجي للمنزل، أو على أبراج أسوار البلدة، تكون في الغالب فوق الباب الرئيسي أو على يمينه أو يساره بقليل. وهي عادة بمستوى الطابق الثاني من البناء. وهي مستطيلة الشكل في الغالب يتراوح طولها بين ٧٠ و٨٥سم وعرضها ٥٠سم تبنى من الفروش (الحجر المسطح) وتحملها قاعدة من الخشب وتغطى بطبقة من الطين لتتناسب مع شكل المنزل وبها ثقوب في أسفلها وعلى الجانبين وهي مجوفة من الداخل، ولها عدة وظائف في أوقات السلم والحرب، ومن وظائفها في أوقات السلم

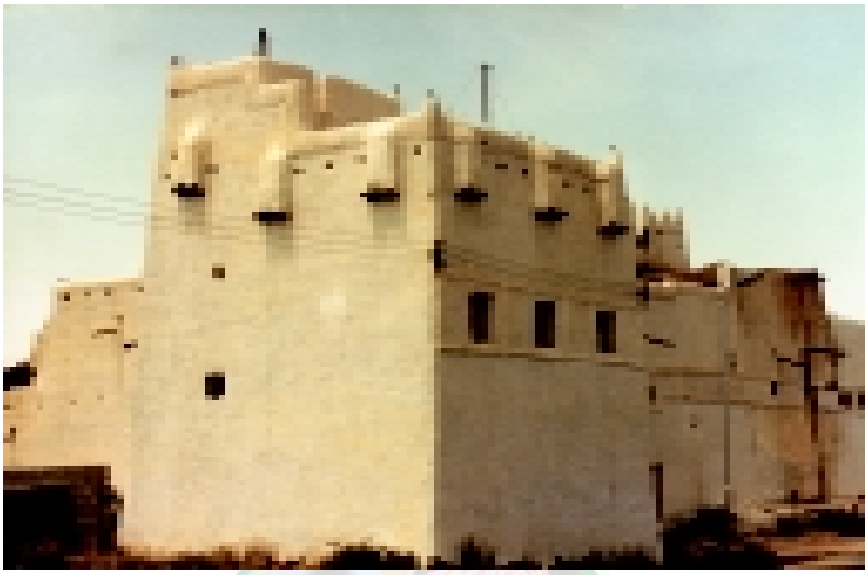

الطرمة (القاتولة)

إعطاؤها المنزل شكلاً جمالياً، كما أنها تعطي من بداخل البيت الفرصة للنظر إلى خارج البيت دون أن يرى، وتمكن صاحب البيت من معرفة الطارق قبل أن يفتح الباب. كما أنها تساعد على التهوية. أما وظائفها الحربية فهي بمثابة برج المراقبة، وعندما تتعرض الأبواب للاقتحام من قبل عدو يستطيع المتحصن في هذه الطرم سكب الماء المغلي أو الزيت الحار من خلال هذه الفتحات، كما يستطيع من خلالها إطلاق النار على العدو كما يحدث في سقاطات أبراج الأسوار.

المثلثات الغائرة (النافذة): هي فتحات في الجدار الخارجي للبيت مثلثة الشكل، وتكون عادة في أعلى الدور الأرضي بالقرب من السقف، وكذلك تكون في الأدوار العليا من البيت. وتشكل أثناء البناء بوضع لبنتين في شكل مائل تلتقيان عند الرأس، ويستمر فوقها البنيان، وتكون هذه الفتحات على شكل مثلث متساوي الأضلاع طول ضلعه ٣٤ سم

فرج في سترة السطح

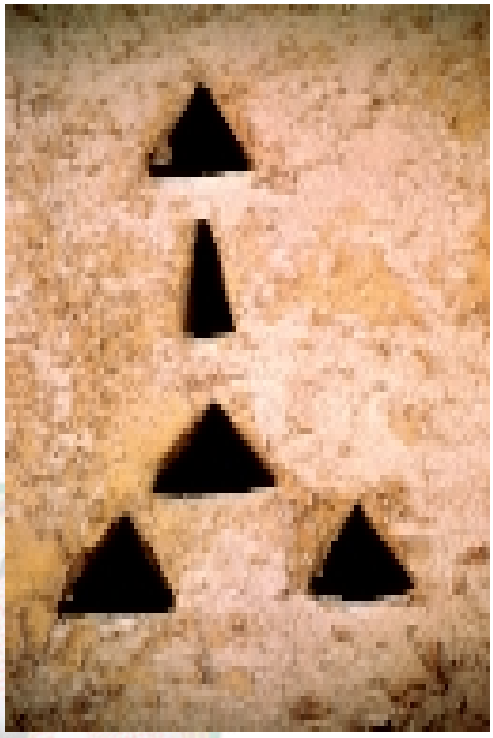

فرج في الجدار الخارجي

تقريباً. ولهذه المثلثات عدة وظائف؛ فهي توفر كمية مناسبة من الإضاءة للمنزل. وتساعد على تهوية المنزل حيث تسمح للهواء الحار الذي يتجمع في أعلى الغرف من الخروج ويحل محله هواء أكثر برودة يدخل من خلال الأبواب أو النوافذ المنخفضة. كما يسمح لأشعة الشمس بالدخول إلى المنزل في شكل منكسر ومن ثم تقل حرارتها. وهي تؤدي غرضاً جمالياً بديعاً، خصوصاً عندما تكون مرتبة في خط رأسي أو أفقي أو تكون في مجموعات على أشكال مختلفة.

المثلثات البارزة (الطاف): هي عنصر زخرفي من شريط أفقي غائر في الجدار يعلوه شريط من المثلثات البارزة بشكل مائل حيث تزداد بروزاً كلما اتجهت إلى الأسفل وهي مقلوبة حيث تكون رؤوسها إلى الأسفل. ويكون هذا الشريط في واجهة المنزل الرئيسية. وذكر أحد البنائين الكبار في السن كيفية عملها، فقال:

> يقوم البناء بتثبيت قطعة من الخشب على الجدار بشكل أفقي أثناء المشاش (التليس) وتمتد قطعة الخشب بسُمك واحد يتراوح بين ١٠سم إلى١٥ سم ومن ثم يرفع الخشب فيكوّن الشريط الغائر، أما المثلثات البارزة فيقوم البناء أثناء المشاش بوضع كتل من الطين تحت الشريط الغائر بشكل منتظم ويقوم بتحديدها وتهذيبها على شكل مثلثات بأداة حادة وتستمر العملية إلى أن ينتهي من الجدار (العبودي ١٤١٢: ٢٤).

ووظيفة هذه المثلثات البارزة مع الشريط الغائر وظيفة جمالية، فهي حلية البيت أو المنزل من الخارج. كما أنها تحدد مستوى الأدوار في المنزل، ويتكرر هذا الشريط بتكرار الأدوار.

وتساعد في الوقت نفسه على حماية جوانب الجدران من مياه الأمطار حيث تبعد سقوط الأمطار عنها.

الشرفة: الشرف أشكال هندسية رائعة التصميم تزين الحواف العليا لأسطح الجدران، وهي متجاورة تتجه رؤوسها إلى أعلى. وتختلف أنواع الشرفات، فمنها الشرفات المصمتة ومنها الشرفات المجوفة، ويوجد هذان النوعان في العمارة التقليدية بأشيقر على سبيل المثال، وتكثر في المساجد والمدارس وتقل في المنازل، ولهذه الشرفات وظائف عملية وجمالية؛ فمن وظائفها العملية الأساسية أنها تعمل كسنام يزيد من ارتفاع الجدار الحامي للسطح فتصبح حجاباً لأهل المنزل، وخاصة في الصيف حين يستخدم سطح المنزل للنوم ليلاً. وتكون وقاية للجدران من مياه الأمطار وتقلل كمية الأمطار الساقطة مباشرة على الجدار. كما تكون الشرفات درعاً لمن يستتر خلفها أثناء الحروب ويستطيع المراقبة دون أن يلفت انتباه الأعداء. أما الوظائف الجمالية فهي إضفاء شكل جميل على البناء وإعطاء النهاية العلوية للبناء تناسقاً مقبولاً.

الزخارف الداخلية. تنقش الزخارف الداخلية على مختلف أجزاء البيت النجدي كالجدران والأبواب والسواري، ولعل أكثر أجزاء البيت التي حظيت بقدر من التنوع في الزخرفة هي القهوة بوجارها وكمارها وبقية مكوناتها، كما نالت الجدران الداخلية والأبواب شيئاً من العناية بزخرفتها.

زخارف القهوه (المجلس): تزخرف أقسام القهوة بأشكال متعددة من الزخارف، فتنقش على الجدار نقوش بسيطة في شكل خطوط متكسرة أو متعرجة ونحو ذلك، وفي بعض الأحيان يرغب المالك في تغطية جدران القهوة بطبقة من الجص ويعمل بها نقوشاً بسكين والجص طري، وتكون النقوش على هيئة أقواس ودوائر ومثلثات. والبعض يكتفي بتغطية أسفل الجدار من الداخل بالجص بارتفاع قامة الرجل ويسمى السروال، ويكتفي آخرون بارتفاع متر واحد تقريباً ويسمى وزرة. أما الكمار فيكون فيه بيت القهوة وبابه في العادة مزخرف زخرفة دقيقة وملون بألوان متناسبة، ويزخرف الكمار وما يتبعه بإطارات زخرفية متعددة، وفي الأعلى يزين بإطار زخرفي بعقود متتالية مدببة أو أنصاف دائرية.

وفي القهوة بيت الحطب، وهو غرفة لها فتحة معقودة بعقد مدبب تزخرف بإطار على هيئة مثلثات صغيرة أو مربعات وعرض هذا الإطار نحو ١٥سم. أما الفاغرة، وهي

كمار متواضع في سدوس ويظهر الوجار واللهج

فتحة في الجدار توضع فيها أشياء خفيفة كالسراج ونحوه، فتحاط بشريط زخرفي يتكون من عنصر على شكل عقود صغيرة نصف دائرية في الغالب.

الأبواب الداخلية: كان هناك اهتمام بزخرفة الأبواب الداخلية والرسم عليها، فقد كانت الأبواب الداخلية ترسم وتلون بالكامل، وكان يغلب عليها اللون الأخضر والأزرق والأحمر والأصفر. وكان الباب بزخرفته المعقدة يبدو للناظر إليه وكأنه قطعة سجاد أو لوحة فنان اهتم برسومها وتلوينها. وقد كانت الأبواب في أماكن الضيوف، وخاصة أبواب بيت القهوة، أكثر دقة وإتقاناً وأناقة في الزخرفة من الأبواب الأخرى، ولم يهتم النقاشون بزخرفة الأبواب الخارجية كاهتمامهم بالأبواب الداخلية، وذلك لأن الأبواب

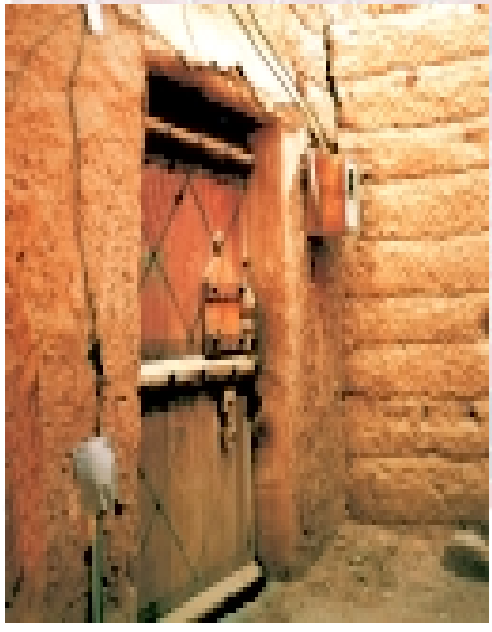

بعض الزخارف البسيطة على الأبواب الخارجية

تقل الزخارف على الأبواب الخارجية

الخارجية تتعرض للشمس والأمطار مما يسهل تلف الزخارف والألوان.

الأعمدة (السواري): اهتم المعماريون بالأعمدة داخل المنزل وخاصة الأعمدة التي تكون في الساحات الوسطى من المنزل أي المحيطة بالفناء، إذ قاموا بزخرفة تيجان هذه الأعمدة وكذلك زخرفة العمود بالكامل، وهي تبنى في الغالب من الحجارة والجص.

الزخارف الجدارية الجبسية. اهتم صاحب المنزل ببيته من الداخل وعمد إلى زخرفته، لأنه يقضي فيه معظم وقته، واهتم بنقش أماكن استقبال الضيوف، إذ إنها تعتبر واجهة البيت الداخلية، وقد اعتنى الفنانون المعماريون بهذه الأماكن من المنزل عناية خاصة. واستخدموا عنصرين أساسيين في الزخرفة هما الزخارف الهندسية، والزخارف النباتية.

ويعتمد الفنان أو النقاش في أدواته في الزخرفة الهندسية على طريقة المسمار والخيط لرسم دائرة إذ يقوم بإحضار مسمارين وخيط بينهما بمقدار نصف قطر الدائرة ويثبت أحد المسمارين ويلف الآخر حوله. وقد استخدم الخشب بدلاً من المسطرة، وهي قطعة من الخشب المتساوي رسمت عليها خطوطه ومثلثاته، وقد لوحظ في الزخرفة الهندسية تميزها بعنصر الدوائر المتعددة والمكررة، وملئت الفراغات بينها بمثلثات صغيرة أو أشكال معينة أو مربعات، وكذلك وجود بعض الأقواس نصف الدائرية، كما يلاحظ في الزخارف الهندسية التكرار والتماثل في العنصر الزخرفي الواحد، وتظاهر العناصر الزخرفية لإعطاء شكل جمالي متناسق ومتميز، والتكرار في الوحدات الزخرفية.

بالإضافة إلى الزخارف الهندسية ثمة زخارف نباتية، وتتمثل في الوريدات التي غالباً ما تكون محوراً لعنصر زخرفي على شكل دائرة، وكذلك الوريقات النباتية المفصصة وغير المفصصة، بين العناصر الزخرفية. وكذلك الفروع النباتية، بالإضافة إلى أشكال نباتية محورة كالتي تكون على اللهج وهو فتحات بعضها فوق بعض تستخدم أرففاً لوضع الكتب وتحيط بها زخارف هندسية ونباتية (العبودي ١٤١٢: ١٧-٢٦).